ل

رسالَةُ السُّلْطانِ كَظْمانَ



قصة: السيد إبراهيم

رسوم: عامر المغربي

تَمَّ تَقْديمُ هَذا الْعَمَلِ لَكُمْ بِدَعْمٍ مِنْ

Australian Aid

World Vision

USAID
FROM THE AMERICAN PEOPLE

ALL CHILDREN READING:
A GRAND CHALLENGE FOR DEVELOPMENT

فِي سالِفِ الْعَصْرِ وَالْأَوانِ، كانَ السُّلْطانُ كَظْمانُ مَلِكًا على مَمْلَكَةِ الرُّمّانِ
وَفي يَوْمٍ أَرادَ أَنْ يُزَوِّجَ ابْنَهُ الْأَميرَ (شانَشانَ) بِالْأَميرَةِ الْحَسْناءِ بِنْتِ سُلْطانِ مَمْلَكَةِ الْباذِنْجانِ
الَّذي قَابَلَهُ مُنْذُ ما يَقْرُبُ مِنْ عامٍ في رِحْلَةِ صَيْدِ الْغِزْلانِ.



قَرَّرَ السُّلْطانُ كَظْمانُ أَنْ يُرْسِلَ رِسالَةً إِلى سُلْطانِ مَمْلَكَةِ الْباذِنْجانِ
فَكَتَبَ فيها بِكُلِّ سَعادَةٍ مَوْعِدَ الْعُرْسِ، وَتَفاصيلَ الْحَفْلِ، وَاسْتَشارَ وَزيرَهُ سَعْفانَ
عَنْ أَفْضَلِ عَدّاءٍ يَنْقُلُ الرِّسالَةَ في أَسْرَعِ وَقْتٍ إِلى قَصْرِ السُّلْطانِ، في مَمْلَكَةِ الْباذِنْجانِ.



أَتى الْوَزيرُ سَعْفانُ في التَّوِّ، بِرَجُلٍ نَحيلٍ سَريعِ الْعَدْوِ
أَعْطاهُ الرِّسالَةَ وَأَمَرَهُ بِأَنْ يوصِلَها إِلى مَمْلَكَةِ الْباذِنْجانِ في أَسْرَعِ وَقْتٍ.



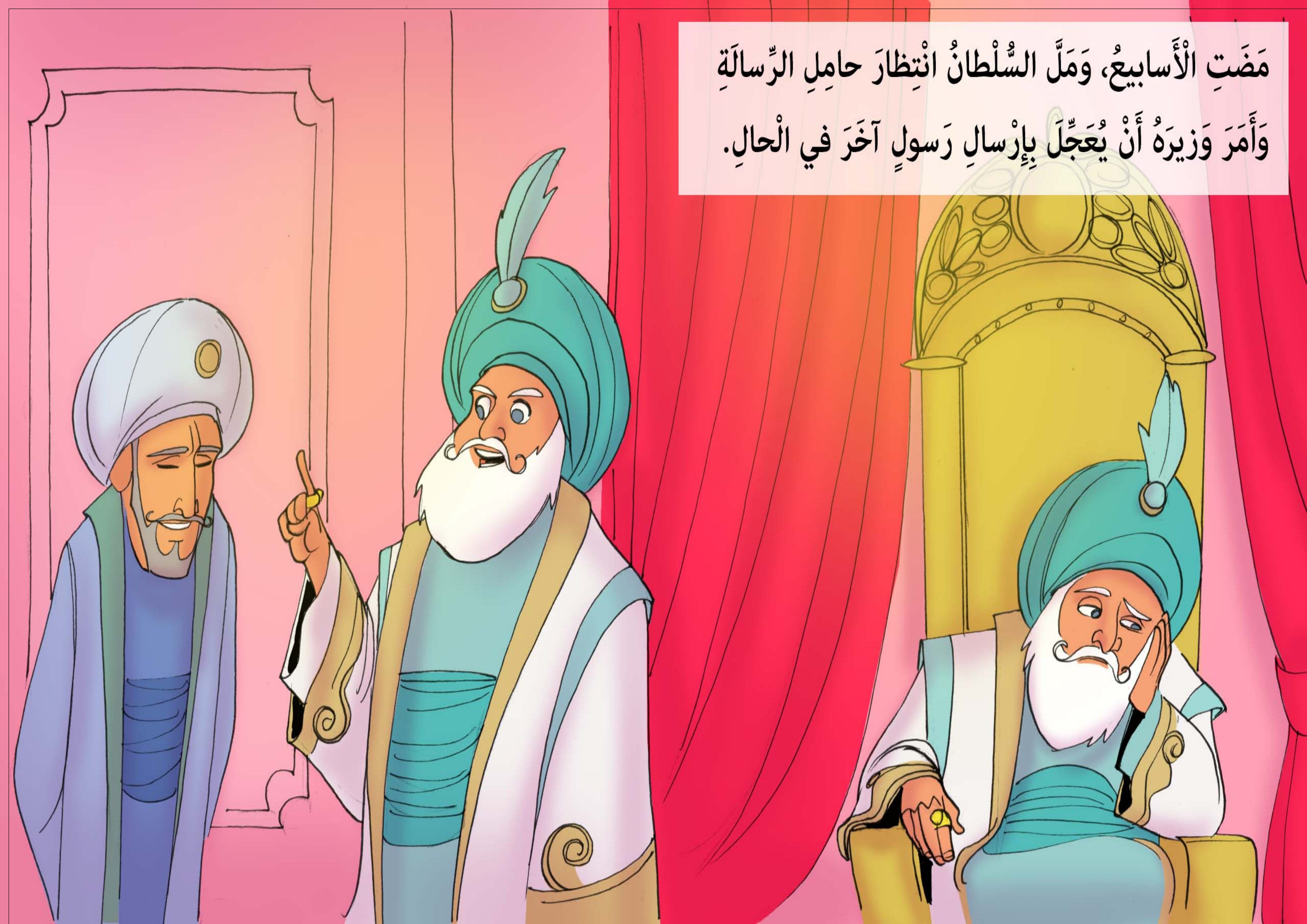




أَخَذَ الرَّجُلُ الرِّسالَةَ وَانْطَلَقَ يَعْدو، أَتى لَيْلٌ بَعْدَهُ نَهارٌ، وَهُوَ يَعْبُرُ السُّهولَ وَالْأَنْهارَ
ثُمَّ قَطَعَ صَحْراءَ واسِعَةً حَتّى أَصابَتِ الشَّمْسُ رَأْسَهُ بِالدُّوارِ.

نامَ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ، فَلَمْ يَجِدِ الرِّسالَةَ، فَرُبَّما دَفَنَتْها الرِّمالُ، وَرُبَّما قَذَفَتْها ريحٌ أَوْ إِعْصارٌ.
خافَ أَنْ يَعودَ لِلْوَزيرِ فَيُعاقِبَهُ، فَقَرَّرَ أَنْ يَهْرُبَ، وَيَتَوارى عَنِ الْأَنْظارِ.




مَضَتِ الْأَسابيعُ، وَمَلَّ السُّلْطانُ انْتِظارَ حامِلِ الرِّسالَةِ
وَأَمَرَ وَزيرَهُ أَنْ يُعَجِّلَ بِإِرْسالِ رَسولٍ آخَرَ في الْحالِ.

اِخْتارَ الْوَزيرُ أَشْجَعَ الْفُرْسانِ، وَكانَ مَفْتولَ الْعَضَلاتِ، قَوِيَّ الْبُنْيانِ
حَمَّلَهُ الرِّسالَةَ، فَامْتَطى جَوادَهُ، وَانْطَلَقَ كَالسَّهْمِ في الْآنِ.





مَضى الْفارِسُ، فَقَطَعَ السَّهْلَ وَالْجَبَلَ، وَتِلالَ الرَّمْلِ عَبَرَ دونَ كَلَلٍ
ثُمَّ فَجْأَةً زَلَّ جَوادُهُ بِصَخْرَةٍ صَلْبَةٍ، فَانْكَسَرَتْ ساقُهُ.



يا لَها مِنْ كُرْبَةٍ! بَكى الْفارِسُ كَالْغِلْمانِ
وَخافَ أَنْ يَعودَ إِلى الْوَزيرِ سَعْفانَ.



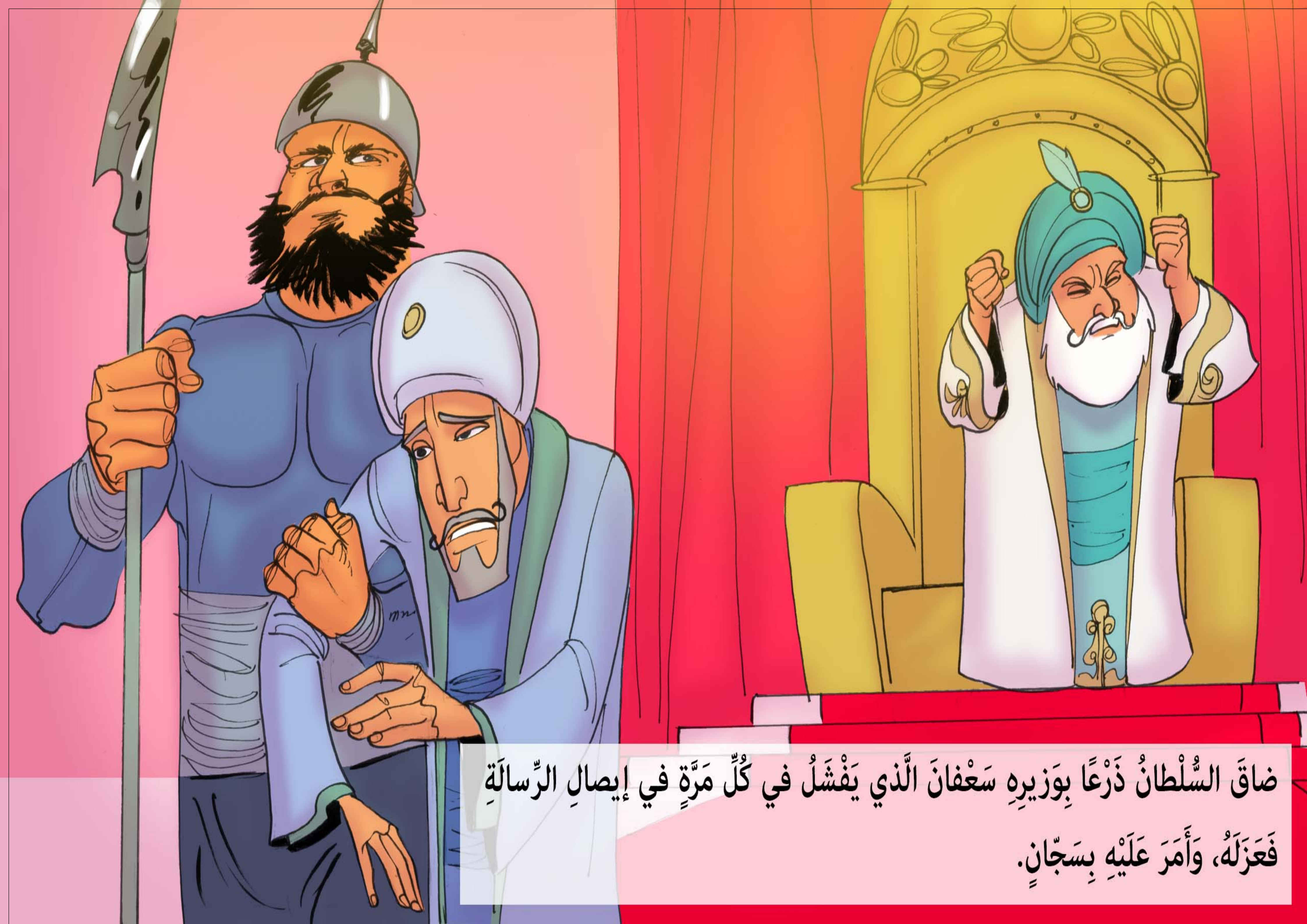
مَضَتْ شُهورٌ، فَمَلَّ السُّلْطانُ الاِنْتِظارَ، وَأَمَرَ وَزيرَهُ أَنْ يُعَجِّلَ بِإِرْسالِ رَسولٍ آخَرَ في الْحالِ.

فَأَتاهُ الْوَزيرُ بِحَمامَةٍ فِضِّيَّةٍ، مُدَرَّبَةٍ ذَكِيَّةٍ، وَقالَ: "هذِهِ أَفْضَلُ وَسيلَةٍ لِنَقْلِ الرِّسالَةِ؛

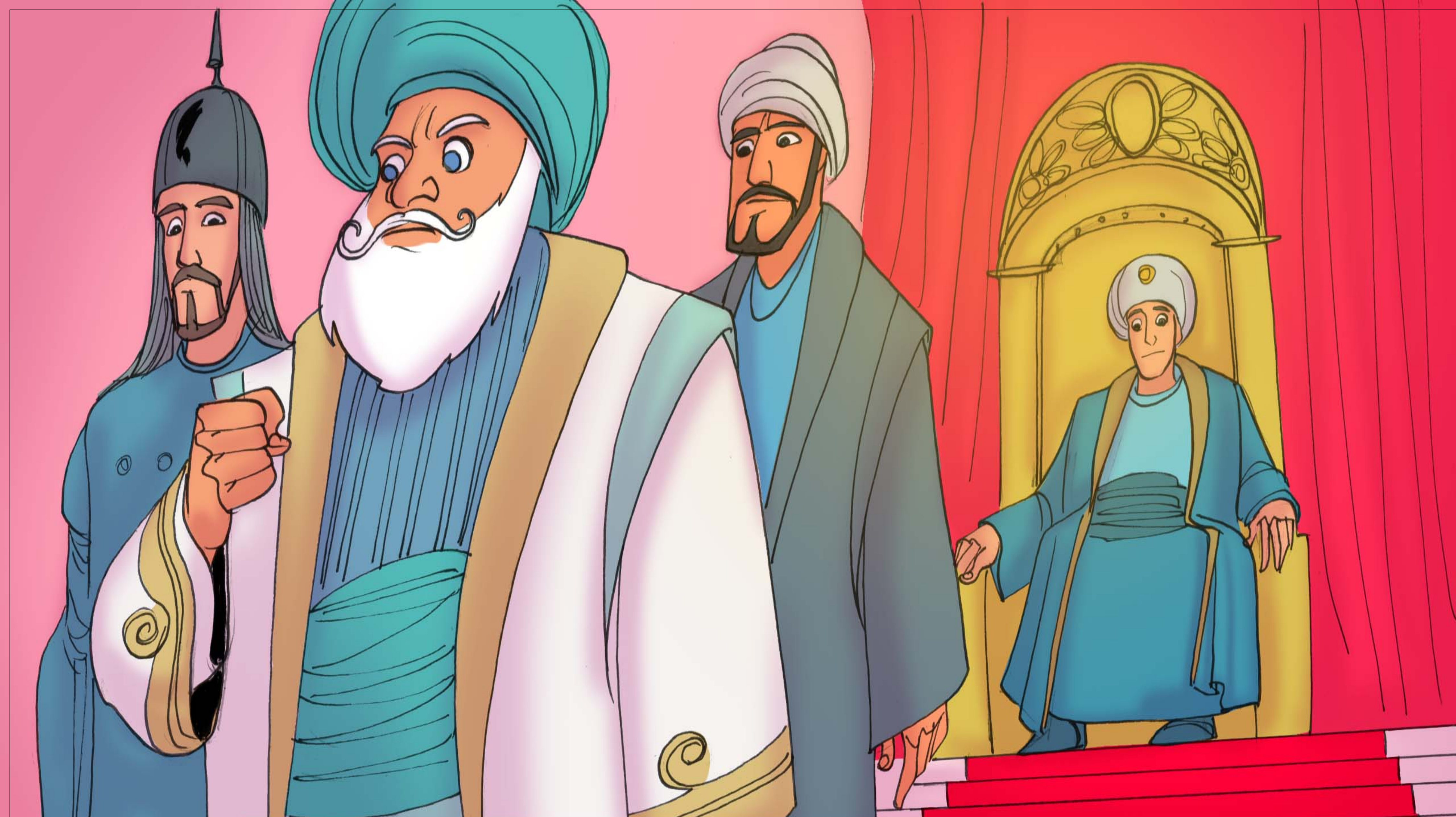
وَحَتْمًا سَتَعودُ إِلَيْنا بِالْبَيانِ، كَما فَعَلَ هُدْهُدُ سُلَيْمانَ".



وَكى الوَزيرُ الرِّسالَةَ بقَدَمِ الْحَمامَةِ، وَقالَ لَها: "مَعَ السَّلامَةِ!"،
طارَتِ الْحَمامَةُ حَتّى اخْتَفَتْ عَنِ الْأَنْظارِ، وَأَتى لَيْلٌ بَعْدَهُ نَهارٌ وَهِيَ تَجوبُ السَّماءَ وَتُحَلِّقُ في الْعَلْياءِ، حَتّى لَمَحَها صَقْرٌ ناتِفٌ، فَأَكَلَ جَناحَها، وَأَفْلَتَها بِجُرْحٍ نازِفٍ.



ضاقَ السُّلْطانُ ذَرْعًا بِوَزيرِهِ سَعْفانَ الَّذي يَفْشَلُ في كُلِّ مَرَّةٍ في إيصالِ الرِّسالَةِ فَعَزَلَهُ، وَأَمَرَ عَلَيْهِ بِسَجّانٍ.



أَرادَ السُّلْطانُ أَنْ يُسَلِّمَ الرِّسالَةَ بِنَفْسِهِ لِسُلْطانِ مَمْلَكَةِ الْباذِنْجانِ، فَوَكَّلَ ابْنَهُ بِالْعَرْشِ
وَتَجَهَّزَ لِلسَّفَرِ بِجَيْشٍ جَرّارٍ، فَقَدْ ظَنَّ بِأَنَّ في الْأَمْرِ مَكيدَةً أَوْ مُؤامَرَةً، وَالِانْتِظارُ في هذِهِ الْحالَةِ مُخاطَرَةٌ.


قَطَعَ السُّلْطانُ بِجَيْشِهِ مَسافاتٍ، وَحارَبَ قُطّاعَ الطُّرُقِ، وَاجْتازَ وُحوشَ الْغاباتِ
وَكانَتْ مُقَدِّمَةُ الْجَيْشِ تُشْعِلُ نارًا إِذا أَرادَتْ أَنْ تُرْسِلَ إِشارَةً

فَلَوْ أَنَّ مَنْ في الْمُؤَخِّرَةِ رَأَوْا دُخانًا كَثيفًا يَأْتي مِنَ الْمُقَدِّمَةِ
فَهِمُوا أَنْ يَسْتَعِدّوا لِدَفْعِ هُجومٍ أَوْ غارَةٍ.



رُغْمَ انْقِضاءِ عامٍ أَوْ أَكْثَرَ عَلى بِدايَةِ رِحْلَتِهِ الطَّويلَةِ
فَإِنَّهُ نادِرًا ما اسْتَراحَ السُّلْطانُ في خَيْمَتِهِ سِوى أَيَّامٍ قَليلَةٍ
وَبَعْدَ طولِ الْمَسيرِ، بَدَأَتْ تَظْهَرُ قِبابُ قَصْرِ السُّلْطانِ مِنْ بَعيدٍ.





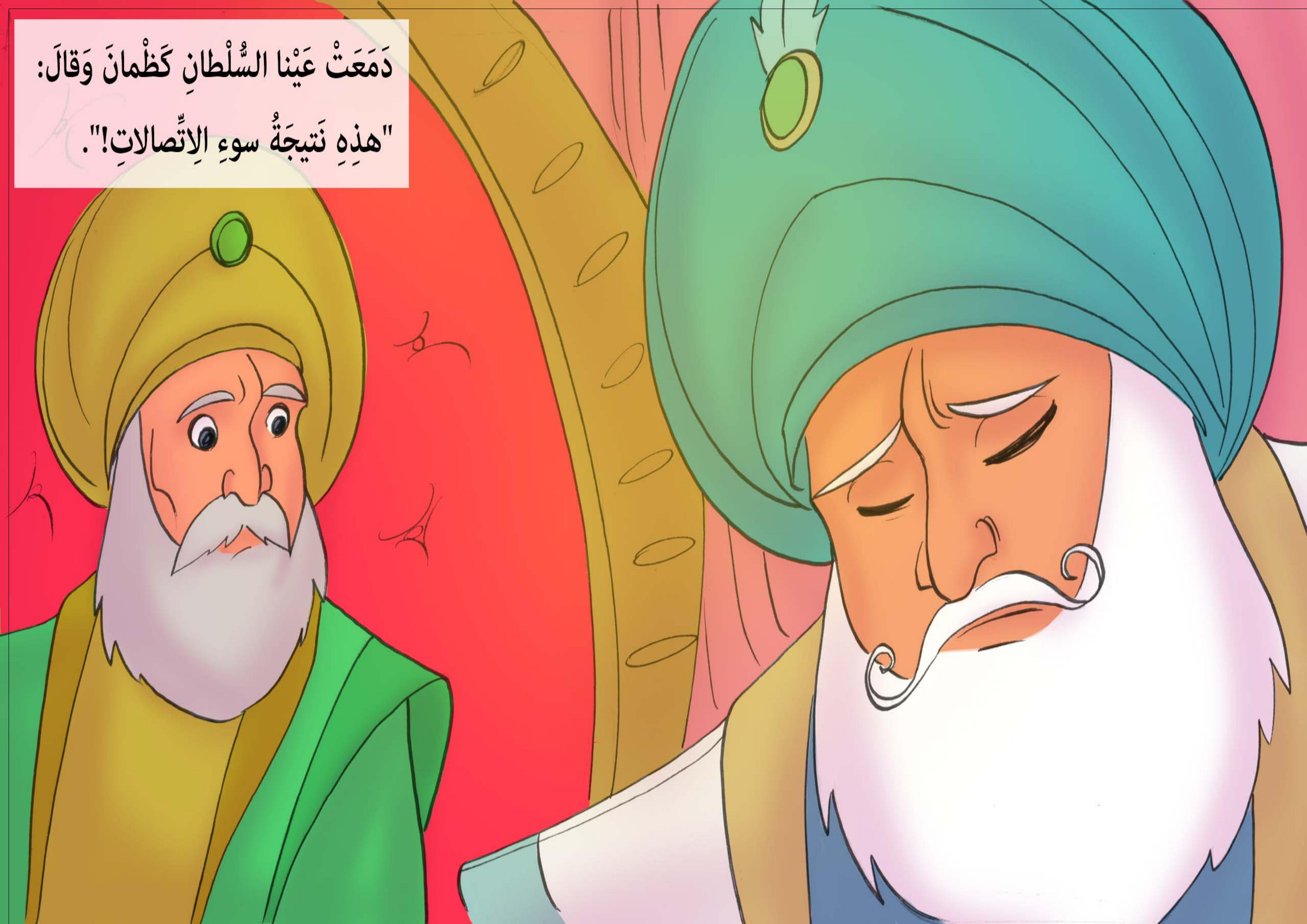
وَصَلَ السُّلْطانُ كَظْمانُ إِلى مَمْلَكَةِ الْباذِنْجانِ، فَاسْتَقْبَلوهُ بِالْأَهازيجِ وَالِاحْتِفالاتِ
وَأَمْطَروهُ بِالصَّيْحاتِ وَالْهُتافاتِ.

وَعِنْدَما دَخَلَ الْقَصْرَ سَأَلَ سُلْطانَهُمْ عَنِ ابْنَتِهِ أَميرَةِ الْأَميراتِ.





أَجابَهُ سُلْطانُ مَمْلَكَةِ الْباذِنْجانِ: "اِبْنَتُنا بِخَيْرٍ، فَقَدْ كانَ زِفافُها مُنْذُ عامٍ وَشَهْرٍ تَعيشُ في ثَباتٍ وَنَباتٍ، وَالْيَوْمَ هِيَ أُمٌّ لِستِّ بَناتٍ".


دَمَعَتْ عَيْنا السُّلْطانِ كَظْمانَ وَقالَ:
"هذِهِ نَتيجَةُ سوءِ الِاتِّصالاتِ!".

مِنْ طُرُقِ الاِتِّصالِ وَالتَّواصُلِ القَديمَةِ:



إِرْسالُ الرُّسُلِ:

حَيْثُ كانَ يَحْمِلُ العَدَّاءُ الرِّسالَةَ المَكْتوبَةَ عَلى رُقْعَةِ الْجِلْدِ أَوْ وَرَقِ البُرْدِيِّ الَّذي عُرِفَ عِنْدَ قُدَماءِ المِصْرِيِّينَ، وَيَقومُ بِتَوْصيلِها إِلى العُنْوانِ المُرادِ جَرْيًا عَلى الأَقْدامِ، وَإِذا كانَتِ المَسافَةُ أَبْعَدَ كانَ الرَّسولُ يَسْتَخْدِمُ الْفَرَسَ أَوِ النَّاقَةَ.



الْحَمامُ الزّاجِلُ:

اُسْتُخْدِمَ الحَمامُ الزَّاجِلُ في تَوْصيلِ الرَّسائِلِ، وَهُوَ مِنْ أَسْرَعِ أَنْواعِ الحَمامِ عَلى الإِطْلاقِ، اُشْتُهِرَ بِنَقْلِ الرَّسائِلِ المَكْتوبَةِ بَيْنَ النَّاسِ، كانَ الحَمامُ يَقْطَعُ مَسافاتٍ طَويلَةً لِلْوُصولِ إِلى المَكانِ المُحَدَّدِ لَهُ، وَيَمْتَلِكُ هذا النَّوْعُ مِنَ الحَمامِ قُدْرَةً يَسْتَطيعُ مِنْ خِلالِها رَسْمَ خَرائِطَ خاصَّةٍ بِالْأَرْضِ، وَيَسْتَعينُ بِها عَلى مَعْرِفَةِ الأَماكِنِ وَالطُّرُقِ، وَكانَ المُلوكُ قَديمًا يَسْتَعينونَ بِالْحَمامِ لِنَقْلِ الرَّسائِلِ، وَكَذلِكَ الْأَفْرادُ وَرُؤَساءُ القَبائِلِ.

الْإِشاراتُ الدُّخانِيَّةُ كانَتْ تُسْتَعْمَلُ لِإِرْسالِ الأَخْبارِ، إِشاراتِ الخَطَرِ، أَوْ لِتَجْميعِ النَّاسِ في مِنْطَقَةٍ مَعْروفَةٍ، في الصِّينِ القَديمَةِ مَثَلًا كانَ الجُنودُ المُتَمَرْكِزونَ في أَبْراجِ سورِ الصِّينِ العَظيمِ يُرْسِلونَ لِبَعْضِهِمْ الإِشاراتِ التَّحْذيرِيَّةَ بِالخَطَرِ مِنْ خِلالِ الدُّخانِ.



الْبوقُ والطُّبُولُ:

كانَتْ تُسْتَخْدَمُ لِلَفْتِ أَنْظارِ النَّاسِ لِلْأَخْبارِ الهَامَّةِ الَّتي يَنْشُرُها المُلوكُ، وَكَذلِكَ كانَتْ تُسْتَخْدَمُ في الإِشاراتِ الحَرْبِيَّةِ لِجَمْعِ الجُنودِ، وَحَتَّى الآنَ يَسْتَخْدِمُ "المُسَحِّراتِيُّ" النَّقْرَ عَلى الطَّبْلِ في بَعْضِ الدُّوَلِ لِإِيقاظِ النّاسِ قَبْلَ الفَجْرِ في شَهْرِ رَمَضانَ. وَمِنَ الطُّرُقِ الْقَديمَةِ الرَّسْمُ على جُدْرانِ الكُهوفِ وَالمَغاراتِ بِاسْتِخْدامِ الحِجارَةِ مِنْ أَجْلِ إِيصالِ فِكْرَةٍ ما، ثُمَّ تَطَوَّرَتْ لِتُصْبِحَ رَسْمًا وَكِتابَةً عَلى قِطَعٍ صَخْرِيَّةٍ أَوْ جِلْدِ الحَيَواناتِ.


النِّهايَةُ